وكانت اللغة السريانية منتشرة فى العراق الشمالى ، وكان لهم فيها مدارس ، والسريانية شقيقة العربية : فكلتاهما لغة سامية ، تتفقان فى كثير من الأصول ؛ وكان للسريانية نحو ، فيه اصطلاحات ، وله تقاسيم ؛ فلعل أبا الأسود ومن جاء بعده من الذين اشتغلوا بعلم النحو اطلعوا هم أو بعضهم على نحو اللغة السريانية ، واستفادوا مما فيه من تبويب ، وترتيب ، ومصطلحات ، ونحو ذلك ؛ إذ ان علما كهذا يبدأ التفكير فى مبادئه — ويبدأ على حذر — ثم تراه بعد قرن وبعض قرن من الزمان — عملاقا ضخما ثابتا ، مستكمل الأركان ، ثابت الأصول — لا يمكن أن يكون كذلك إلا إذ كانت هناك أمور ساعدت على سرعة نموه ، وتبكير نضجه . ويمكنك أن تتصور مقدار الوثبات ، وسعة الخطوات التى نما بها علم النحو فى بدايته نموا سريعا من قول يونس النحوى [1] فى عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى [2] — وهما من جيلين متتابعين — وكان قد سئل عنه : هو والنحو سواء . أى هو الغاية فى نحو زمانه . فقيل ليونس : فأين علمه من علم الناس اليوم ؟ قال : لو كان اليوم فى الناس أحد لا يعلم إلا علمه لضُحك منه ، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه ونظره كان أعلم الناس .

(١) هو يونس بن حبيب الضبى من أصحاب أبي عمرو بن العلاء . سمع من العرب ، وروى عن سيبويه ، وله قياس فى النحو ، ومذاهب ينفرد بها . سمع منه الكسائى والفراء وكانت له حلقة بالبصرة يختلف إليها طلاب العلم والأدب وفصحاء الأعراب — بغية الوعاة .

(٢) سيأتى ذكره .